الفصل الخامس

خصائص المنهج الإسلامي

- الخصائص العامة للمنهج الإسلامي.
- خصائص منهج الإسلام في علاج البطالة.
- المسئولية

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

الخصائص العامة للمنهج الإسلامي

المطلب الأول: الربانية:

إن المنهج الإسلامي له خصائص يتميز به عن غيره، حيث جاء الإسلام بعقيدة وشريعة وأخلاق، عقيدة دينية كاملة تنظر في الإنسان والكون والحياة، وشريعة جامعة يسعد بها الفرد والجماعة، تلبى حاجات الناس ومصالحهم، وأخلاق تترجم الكمال الإنساني في سلوك واقعي.

ومن خصائص المنهج الإسلامي، الربانية لأن مصدره القرآن الكريم، الذي يهدى للتي هى أقوم، وهو تنزيل من حكيم حميد، ومصدره أيضا السنة النبوية المشرفة، وهى البيان والتوضيح والتفصيل للقرآن الكريم، وهى وحى يوحى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم:٣-٥].

وقد أمر الله المسلمين أن يكونوا ربانيين من خلال تعليم الكتاب ودراسته حيث إنه المنهج المحفوظ المعصوم، فقال الله ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾[آل عمران:٧٩].

ومن ثمرات هذه الربانية: سلامة النفس البشرية من التمزق والصراع الداخلي والانقسام بين مختلف الغايات، وشتى الاتجاهات «فقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة هي: إرضاء الله، وركز همومه في هم واحد هو: العمل على ما يرضيه، ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها في الحياة ووجهتها فيها»[1]، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝١١٠﴾[الكهف:١١٠].

---

(١) «أضواء على النظم الإسلامية» دكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف ص ٥٠. «أصول الدعوة» دكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٦.

وربانية المنهج توفر له الكمال الذاتي لأنه من عند الله - تعالى - الأمر الذي يحقق للمنهج، الهيبة والاحترام من قبل المؤمنين به، فلا يتحايلون على مخالفته، ولا يبدلون معانيه، ويقفون عند حدوده فلا يعتدونها.

المطلب الثاني: الشمول والعموم:

لقد شمل المنهج الإسلامي جميع شئون الحياة، وكل تصرفات الإنسان، وذلك من خلال أحكام العقيدة، والشريعة، والأخلاق جملة وتفصيلا، كيف يتعامل الناس مع بعضهم بعضًا من خلال نظام المعاملات الإسلامية، في كتاب البيوع، وشرع الله ﷻ في كتابه للأمة ذلك تفصيلا، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩]. فمن خلال العقيدة الإسلامية بين الله للإنسان مكانته في الكون، وعلاقته بربه في الدنيا، ومصيره ومآله في الآخرة. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومن خلال الشريعة، نظم الإسلام علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وزوجه، وولده وأهله والناس أجمعين، بنظرة شملت جميع علاقات الإنسان في هذه الحياة منذ علاقته بأمه، إذا كان طفلًا رضيعًا، وحتى اشتد وقوى على مواجهة الصعاب، ثم إلى أن صار شيخًا هرمًا، فبين الإسلام ما يجب له أو عليه من حقوق وواجبات من خلال آي الذكر الحكيم، وبيان النبي الخاتم ﷺ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام:٣٨]. وقال ربنا بيانًا عن منزلة السنة من القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤].

كما شمل الإسلام منهجًا أخلاقيًا يقوم على مجاهدة المرء نفسه من كافة ألوان الرذائل، وضرورة تحليتها بكافة الفضائل والأخلاق، قال الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

والإسلام دين الله الذى أرسل الرسول الخاتم، ليبلغه للناس أجمعين برسالة عامة عالمية، فشمل العربى والعجمى، والأبيض والأسود والأحمر، قال الله سبحانه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف:١٥٨]، مع اختلاف أجناسهم؛ فناسب جميع الأجناس البشرية لأنه اشتمل كل ما يحتاج إليه البشر من أنظمة وتشريعات تشبع العقل والعاطفة.

المطلب الثالث: الجمع بين الرقابة الإلهية والبشرية:

الإسلام دين الله ﷻ الذى أرسل نبيه محمدًا ﷺ من أجل بلاغه للعالمين؛ إذ فيه صلاح شأنهم في الدنيا؛ فالمسلم يشعر بالرقابة الإلهية والبشرية عليه، أما الرقابة الإلهية، فالله سبحانه قد أحاط بكل شي علمًا، يعلم السر والجهر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]. فعقيدة المسلم أن الله مطلع علية يعلم سره وجهره، فتورثه عقيدته انضباطًا في سلوكه وهذا ما يمتاز به المنهج الإسلامي دون غيره من المناهج الأخرى وقال أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:٧].

وأما الرقابة البشرية فتتمثل في رقابة المرء على نفسه بضميره اليقظ الذي أيقظه الدين ورباه، وبعقله الذي هداه الدين، كما تتمثل في رقابة المسلم على أخيه المسلم، ورقابة ولى الأمر أو من ينوبه على ما استرعاه الله من أمر المسلمين من خلال ولاية الحسبة من الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤].

والرقابة البشرية من المميزات التي تميز بها هذا المنهج ومن سلكه، ولقد أكد الرسول ذلك حينما (استعمل رجلًا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم

وهذا أهدى لي، قال فهلا جلس في بيت أبيه فينظر يهدى له أو لا،والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه، اللهم هل بلغت ثلاثًا)[1].

إن رقابة الله على العباد دافع لإصلاح العمل ومعاونة أئمة المسلمين فيما فيه الخير والصلاح، وتوجيه وإرشاد وتربية عامة المسلمين على ما ينفعهم ويهديهم، وقد نصح الرسول المسلمين من خلال إعانته لكل أفراد أمته، وتغيير الفكر السيئ بكل إيمان وفطنة ويقظة في هذه الحياة .

المطلب الرابع: الدوام والاستمرار:

إن الإسلام بمنهجه له صفة الدوام والاستمرار، فالمنهج قائم على كتاب الله ﷻ وسنة الرسول ﷺ وقد تكفل الله بحفظ كتابه ومادام الوحي محفوظ بحفظ الله له - بلفظه ومعناه - فإنه دائم بدوام هذه الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩].

والإسلام بمنهجه قائم ما بقيت للإنسان حياة على ظهر هذه الأرض، فقد أرسل الله رسوله الخاتم، وأقام به الحجة على الناس، وأنه لا نبي بعده، وأن دينه لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل ولا يحرف، فهو مستمر الوجود باستمرار الوجود كله، قال الله سبحانه: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء:١٦٥]. وقد أكمل الله ﷻ هذه الرسالة الخاتمة، وأتم نعمته فيها، حتى يدوم لهذه الأمة الخاتمة الخير، ويستمر لها النصر، ويعلم المسلمون أن دينهم كامل[2]، قال سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب الهبة ، باب من لم يقبل الهدية لعلة ، ٢ / ٩٢. والرغاء صوت البعير، والخوار صوت البقرة وعفرة إبطيه وزان غرفة وهى بياض ليس بالخالص المصباح المنيرص ١٤١، ٢٨٤

(٢) مع النظم والثقافة الإسلامية، الدكتور محمد طلعت أبو صير، ص ١٠.

بين الدكتور محمد طلعت أبو صير هذا حيث قال: «إلى جانب بقاء الإسلام ومنهجه، فإنه قابل لاستيعاب كل ما يستجد من أمور الحياة، وصالح لصيانة تطور الحياة وتقدم الإنسان، ونصوص القرآن والسنة النبوية ذات صبغة كلية عامة، وأحوال الأفراد مختلفة باختلاف الزمان والمكان، ولهذا كان الاجتهاد في استنباط الأحكام أمر مستقر في الشريعة الإسلامية، وفى هذا مجاوبة لتطور الحياة، ومواجهة لما يحدث من مشكلات ووضع الحلول الصحيحة لها مهما تغيرت الأيام وتعددت البيئات»(١)، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[النساء:٨٣].

إن الخصائص العامة للمنهج الإسلامي آثرت فيها الإيجاز على الإطناب وما هو إلا جهد المقل، ويكفى أن نذكر لخصائص المنهج الإسلامي قول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزمر:٢٧،٢٨]. فالقرآن هو دستور الإسلام وما كان وصفًا للقرآن فهو من أوصاف الإسلام.

وبعد فهذا غيض من فيض من سمات وخصائص المنهج الإسلامي، وليس الغرض إحصاء خصائص المنهج، بل الإشارة إلى كمال هذا الدين وبيان أن الله هيأ فيه العلاج لكل أزمة تقع فيها البشرية؛ لأنه رسالة من الله للبشرية كلها؛ فربانية المنهج، والشمول والعموم، والجمع بين الرقابة الإلهية والبشرية، والدوام والاستمرار، والقابلية لما يستجد من أمور دالة على كمال هذا المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء، وسرعان ما بينه للأمة بأسلوب عملي يدفع كل ظن عنه.

---

(١) مع النظم والثقافة الإسلامية، الدكتور محمد طلعت أبو صير ص١٠.

وإن كان للإسلام خصائصه العامة التي يمتاز بها، ويميز منهجه ونظمه المتعددة -الاقتصادية والاجتماعية والسياسية – فإن من نظر بعين التأمل والتدبر سيجد أن للإسلام خصائص تميز منهجه الذي ينتهجه لحل مشكلة من المشكلات لا تخرج عن إطار الخصائص العامة، ومن تلك الخصائص التي يمتاز بها الإسلام هي علاج مشكلة البطالة، فما هي هذه الخصائص التي تميز بها علاج الإسلام للبطالة؟

obeikandl.com

المبحث الثاني

خصائص منهج الإسلام في علاج البطالة

إن كان للإسلام خصائصه العامة التي يميز بها، ويمتاز بها منهجه ونظمه المتعددة - من نظام اقتصادي، واجتماعي، وسياسي- فإن من نظر بعين التأمل والتدبر سيجد أن للإسلام خصائص خاصة تميز منهجه الذي ينتهجه لحل مشكلة من المشكلات لا تخرج عن إطار الخصائص العامة، ومن تلك الخصائص التي يمتاز بها الإسلام في علاج مشكلة البطالة:

المطلب الأول: تشخيص الداء ووصف الدواء:

لقد شخص القرآن الكريم نفسية المتعطل من خلال تعدد الأوصاف التي ضرب المثل بها للفرد الذي لم يجد الكسب المناسب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾[النحل:٧٦]. وهذا الوصف الدقيق لحال الفرد – وقد سبقت الإشارة إليه – وقد جاء الدواء المستأصل له من جذوره من بين يديه ومن خلفه في ثنايا تلك السورة المباركة نفسها التي شخصت الداء ووصفت الدواء.

فالمنهج الإسلامي في علاج البطالة، تشخيص الداء ووصف الدواء قد وضعهما في موضع واحد حتى يصيب الدواء الداء فيبرأ الأفراد من تلك الحال، ويكسب المسلم رزقه من فضل الله تعالى، ومما عدده من ألوان النعم مثلا من الزراعة والصناعة والتجارة التي وردت قبل تشخيص الداء قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[النحل:١٠، ١١].

و قد بين الله ﷻ أن أصل الداء هو جهل الفرد بتلك النعم الربانية، وتغافله عنها، وأن أصل الدواء هو من جنس ما سخره الله للإنسان في أرضه من أنعام وزرع وغرس وحرف ومهن أخرى كصناعة الأثاث المنزلي، والغزل والنسيج وغيرها، فسورة النحل شخصت الداء ووضعت الدواء في صورة المكاسب الأصلية التي يعالج بها المتعطل حالة بطالته.

المطلب الثاني: الإيجابية:

إن المنهج الإسلامي في علاج البطالة له خاصية الإيجابية، حيث يجعل الفرد إيجابيًّا مع الكون لمن حوله، ومع جميع الناس، وذلك من خلال استخلافه في الأرض.

أما الإيجابية مع كون الله تعالى فتحقق من خلال تسخير الكون له، فإذا به يعمره بما تيسر لديه من إمكانات وقدرات ومهارات، مع السعي في تحقيق الخير والرخاء، وخير شاهد على ذلك ما قدمه الرسول ﷺ لأمته من سيرة مباركة نلتمس فيها القدوة في الإيجابية مع كون الله تعالى من حث على المكاسب، واتخاذ الوسائل التي يحقق المسلم من خلالها الإيجابية مع هذا الكون من كف عن المسألة، وسمو بأهدافه وأخلاقه وجدية البحث عن الكسب.

أما الإيجابية مع جميع الناس، فقد جعل الإسلام الحنيف كل معاملة مشروعة بين المسلم وبين كل من هو أهل للمعاملة حتى ولو كان غير مسلم، وقد أوضح النبي ذلك عمليًّا «حينما رهن درعه عند اليهودي» [1]، فسار على هذا المنهج الإيجابي أصحابه من بعده، «فقد واعد الإمام على صائغًا يهوديًّا ليرحل معه»[2]، وتجارب مع الناس كلهم لذلك لم يشترط الفقهاء الإسلام في أحد المتبايعين في شروط صحة البيع، وليس من أركان عقد البيع، قال دكتور محمد بكر إسماعيل: «ولا يشترط فيهما «البائع والمشترى» الإسلام، بل يجوز أن يبيع المسلم للكافر كل شيء يحتاج إليه إلا المصحف والسلاح الذي يغلب على الظن أن يستعمله غير المسلم في حرب المسلمين»[3].

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب ما قيل في الصواغ٣/ ٩، وقد سبق في الفصل الثاني.

(٣) دكتور محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، دار المنار، ٣/ ٨.

إن الإسلام حينما عالج بطالة الأفراد لم يقيد معاملة الفرد المسلم إلا بشرطين اثنين: الأول: أن يعمل العمل الصالح، والثاني: أن يكون فيما أحل الله لا ما حرم، وكلما قلت القيود اتسع المجال فهذه من إيجابية المنهج الإسلامي في علاج البطالة، ولذا قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾[البقرة:١٦٨]. فكل بيع وقع التراضي فيه بين البائع والمشتري- وكان مما يصح تملكه والانتفاع به، وكان مقدورًا على التسليم، ومعلوم القدر والصفة والثمن بلا غدر أو غش أو غبن - فهو بيع جائز شرعًا.

المطلب الثالث: التوازن:

لقد وازن المنهج الإسلامي في علاج البطالة بين مطالب الدين من توثيق الصلة بالله تعالى بأداء ما افترضه على المرء المسلم، وإتباع هدى رسول الله ﷺ وبين مطالب الدنيا من ابتغاء المسلم من فضل الله- سبحانه- كسبًا وعملًا لأداء ما فرضه الله عليه أيضا من نفقة على الأهل والولد.

فهيأ الوقت للكسب، لا كبعض الأديان التي تجعل أتباعها في حالة انعزال عن العالم وانقطاع للعبادة [1] فقال الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة:١٠]. ووفر المنهج الإسلامي جهد الفرد فلم يثقل عليه بالعبادة حتى لا يقوى على الكسب، بل ناسب بين الجهد التعبدي والجهد في الحياة من خلال عبادة الصوم-التي لا تجهده ولا تهلكه - وحفزه بالصدقة على الكسب، ليتصدق وهذا اندماج العمل الدنيوي في الدين من خلال سمو بالغاية.

كما وازن المنهج الإسلامي في علاجه للبطالة بين مطالب الإنسان الروحية والمادية بعقيدته التي جمعت بين ابتغاء الأرزاق فيما يسر الله للإنسان، وبين الرضا بما قسمه الله من حظوظ له في هذه الدنيا كثيرة أو قليلة، فالمرء المسلم- دائمًا- في حالة من الرضا والقناعة

---

(١) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ص٤٥٢.

فقد أورد المؤلف أن الاستجداء عند الهندوس إحدى العبادات في بعض مراحل عمر البرهمي.

النفسية بأن الله رازقه، ولذا قال الرسول ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[المؤمنون:٥١]. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾[البقرة:١٧٢][1]. فالمسلم يجد في الإسلام ما يحثه على طاعة الله في أمر دينه ودنياه وفي ذلك ملائمة لفطرته في الكسب مع تمام الرضا عما قدره الله تعالى له.

المطلب الرابع: التوسع:

لقد توسع المنهج الإسلامي في المجالات التي يعمل فيها الفرد، حتى يزاول أهل كل إقليم ما يناسبهم من كسب يلائم بيئتهم، فهناك المجتمع الزراعي والمجتمع الحرفي، والمجتمع التجاري، وهذا إن صح التعبير توسع أفقي [2] ،ومن ناحية أخرى نظر الإسلام نظرة توسع في دائرة العمران ليحدث الموازنة بين قوة العمل «عدد الأفراد الراغبين في العمل»، وبين الأعمال، فكان التشريع النبوي الرائد من إحياء الموات للتوسع في العمران حتى يضمن لكل إنسان عملًا وبذلك تزدهر الحضارة، وتتفوق الأمم، وهذا توسع رأسي [3]، كما توسع في نوعية المزروع بين ضروري وحاجي وتحسيني حينما قال ربنا ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾

[الرحمن:١٠- ١٢].

وتوسع كذلك في المجال الصناعي حينما ربط بينها، وبين الحاجة الإنسانية وهي متعددة من ضروريات، تحسينات، وكماليات، ولقد أشار القرآن إلى ذلك، حين قال: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا

---

(١) أخرجه مسلم، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ٧/ ١٠٠.

(٢) التوسع الأفقي أي في الأعمال المتعددة التي شرعها الإسلام الحنيف من الحرف والصناعات الأصيلة أو التابعة مثل ما يتولد من أعمال كثيرة في الزراعة مثلا.

(٣) التوسع الرأسي، أي التوسع في المجال الواحد، فلم يقف على حد معين.

تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[طه:١١٨،١١٩]. فهذا الربط بين الصناعة والحاجة الإنسانية يضمن التوسع في الأعمال، مما يحقق العلاج للمشكلة مع الإقبال عليه برغبة صادقة في العمل، لقيامه على إشباع حاجة إنسانية ، إن التوسع في مجال العلاج أحد خصائص المنهج الإسلامي في علاج البطالة، مما يشهد لكمال هذا الدين عقيدة وشريعة وأخلاق ذلك لأن التوسع كان أفقيًّا في جميع المجالات، ورأسيًّا في كل مجال من المجالات، وقد تحقق ذلك في عهد الرسول ﷺوكلما تقدمت البشرية كلما توسعت وتعددت مجالات العمل مما يسهم في علاج البطالة.

المطلب الخامس:التدرج:

لقد تدرج العلاج بدءا من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع، أما الفرد فعالجه الإسلام من خلال تربيته التربية الصحيحة، وتهذيب سلوكه وأخلاقه، ولقد كانت تربية رسول الله لأصحابه وتهذيبه لأخلاقهم وسلوكهم مما يشهد على صدق هذا التدرج، فيربى الفرد على حب العمل والكسب حتى لا يكسل ولا يتواكل، ويربى الفرد على عقيدة قوية لا ينهزم صاحبها عند أول مصيبة، بل يصبر ويتصابر حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولًا، مع سعيه الحثيث على الخروج من حالة التعطل التي يعيشها.

أما دور الأسرة فيأتي متمثلًا في تعليم الوالد ولده حرفة تنفعه، فكان عوف يأخذ ولده عبد الرحمن في رحلاته التجارية، وهذا عفان يأخذ ولده عثمان مما أنشأ تاجرين ماهرين مدربين على شئون المال والتجارة، فدور الأسرة قد رسمه الدين الحنيف في إطار من التربية والتدريب لحرفة أو مهنة من المهن.

أما دور المجتمع فيأتي من خلال إنشاء مراكز تدريب على المهن التقليدية مثل النجارة، والحدادة، والحياكة، والصياغة وغيرها، ومن خلال تشغيل الفرد في العمل الذي يناسبه سواءً كان العمل فكريا أو يدويا، وأن من حق المجتمع متمثلًا في ولى الأمر أن يجبر الفرد على الكسب، فقد عالج الرسول بطالة هذا الشاب الذي جاء يسأله فوفر النبي له العمل وآلته

ودبر له أمره في بيته ثم تابع خبره حتى تأكد من اندماجه في العمل وقد سبق ذلك في موقف الرسول من البطالة [1].

إن هناك نظرة نبوية لعلاج مشكلة البطالة ظهرت في هذا التدرج سنة الله في خلقه فلم يأخذ الناس بالدفعة الواحدة وإنما تدرج لهم في التكاليف، وكذلك عالج بطالة الفرد بالتدريج بداية بالفرد ثم الأسرة ثم المجتمع.

المطلب السادس :الجمع بين الترغيب والترهيب:

لقد عالج الإسلام الحنيف البطالة بهذا الأسلوب التربوي الرائد فرغّب في الكسب وبين منزلة العمل، وأنه من الإيمان، وأنه ضرورة حياة وجعل الأجر غير ضائع لهذا العامل الماهر فقال الله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾[العنكبوت:٥٨]. وقال ﷻ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[آل عمران:١٩٥]. وأن الضرب في الأرض قرين الجهاد في سبيل الله.

وبيّن الرسول ﷺ ثواب من زرع زرعًا أو غرس غرسًا فأكل منه إنسان أو حيوان أو طير، وأنه ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام قدوة في العمل اليدوي فقد كان يأكل من عمل يده، وأن التاجر الصدوق له منزلة عظيمة عند الله.

إن هذا الترغيب الذي سبق بيانه لدليل على أن العلاج قد لمس فطرة الإنسان، فرغَّبه، ورهَّبه من خلال التنفير من صفات الفرد المتعطل، وبيان عاقبة القاعدين، وعدم مساواة القاعد غير المتضرر مع المجاهد في سبيل الله تعالى. وكل ذلك يصب في قناة واحدة هي دفع الإنسان المتعطل إلى الكسب والعمل ؛ ففي تخويفه من سوء عاقبة القاعدين باختيارهم، وقبح صفاتهم دافعٌ إلى السعي في ترك حالة البطالة.

---

(١) راجع «موقف الرسول من البطالة» ص ٩٨.

لقد جمع الإسلام في علاج البطالة بين الأخلاق والسلوك فخلق الكسل، والتواكل، واليأس من رحمة الله، والجزع عند الشدائد، تترجم سلوكيات لكل من الكسول، والمتواكل واليائس من رحمة الله والجازع عند الشدائد، وما دام السلوك أمارة الخلق فلابد من تهذيب أخلاق الفرد ثم توجيه الفرد إلى سلوك قويم، وهذا ما فعله عمر مع الشاب الذي دخل المسجد وهو يقول: «من يعينني في سبيل الله؟» لقد هذب عمر رضي الله عنه خلق التواكل فيه، ووجهه إلى سلوك قويم، ثم تركه بعد ما لقنه درسًا في التوكل على الله، وابتغاء الرزق من لدنه سبحانه قائلا له: «الآن إن شئت اغز، وإن شئت فاجلس». [1] فتبين من هذا النص الكاشف ما ينتفع به المسلمون بل والبشرية كلها على مختلف المنازل والأحوال وعلى قدر المسئولية.

إن الأخلاق لا ثمرة لها إلا في سلوك تظهر فيه، لذلك جمع الإسلام بين الأخلاق والسلوك في معالجته لبطالة الأفراد، فما فائدة أن نظل نردد أن العمل واجب دون أن نقدم أو نؤخر شيئًا؟! ومن هنا ظهر السلوك النبوي الكريم في سعيه وعمله، فكان قدوة للسالكين في السعي والكسب ابتغاءً من فضل الله.

(١) محمد يوسف الكاندهلوى، حياة الصحابة، ٢/ ٦٠.

المبحث الثالث

المسئولية

لقد جعل الإسلام للكائن البشرى حقوقًا مدنية حق التعليم،وحق العمل، وغير ذلك من حقوق تحققت بها الكرامة للإنسان، ولا نعجب إذا صدر عن منظمة الأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨، وفيه «اعتبر لكل أحد حق العمل، ولكل أحد أن يختار عمله بحرية، وأن يطلب الحماية مقابل البطالة» [١] ومن هنا نجد أن الإسلام قد سبق إلى إقرار هذه الحقوق تفعيلًا لخلافة الإنسان في الأرض.

وقد عمل الشرع الإسلامي على تفعيل حق الكسب للأفراد، وجعله مسئولية الفرد والمجتمع، بداية بالراعى الأول لشئون المسلمين من ولاة الأمور وانتهاء بالفرد نفسه، وعلى المجتمع أيضا مسئولية تحقيق هذا البرنامج الإسلامي المتكامل بكل ما فيه من علماء، وآباء، ومصلحين، ومربين يترجمون هذه الحقائق الإسلامية في سلوك عملي يتم به وقاية المجتمع من شر البطالة، ومواجهتها مواجهة حاسمة إذا ظهرت في المجتمع.

ويمكن تقسيم المسئولية إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: مسئولية ولاة الأمر:

لقد أظهر النبي ﷺهذه المسئولية من ناحتين: التشريع المعالج للبطالة والتنفيذ له، أما التشريع فقال عنه ﷺ: «كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم »[٢]، وقد اقتدى بالرسول ﷺ الخلفاء الراشدون من بعده، فحافظ كل منهم

---

(١) (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) أسامة الألفي حقوق الإنسان ووجباته في الإسلام، ص ١٠٨ المادة (٢٣)، أ، ب، جـ د، والمادة (٢٥)، والمادة (٢٦). دكتور على عبد الواحد وافى، حقوق الإنسان في الإسلام، نهضة مصر، ص ١٥.

(٢)الحديث أخرجه البخاري ومسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، حديث رقم ١١٩٩، ص ٣٩٥. الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٢١.

على من تحته من رعية فعدلوا ونصحوا وأدوا الحقوق التي تقلدوا مسئوليتها، وقد سبق جانبًا من ذلك في الفصل الثاني [1] وقد هيأ من الخلفاء الراشدين - من خلال التشريعات - ما يصلح شئون المسلمين ويعالج البطالة.

أما الناحية الثانية التي أظهر النبي من خلالها مسئولية ولاة الأمور تجاه المسلمين، فهو التنفيذ العملي لهذا التشريع من تشغيل المتعطلين، وتتحقق هذه المسئولية من خلال المراحل الآتية:

١-التخطيط:

إن التخطيط يكون كما بين أهل الاختصاص «عن طريق وضع خطة لما يستقبل من شئون الحياة العامة في الاقتصاد والتصنيع والتعليم وأنواع الإنتاج كافة»[٢]، وقد كان النبي يخطط الشئون العامة للمسلمين فيما ييسر لهم مصالحهم وفى الحديث «فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها» [٣] والحديث يشير لخطة رسول الله يوم الحديبية.

الله مدبر الأمر:

والله ﷻ بيده تدبير الأمور، وتصريف كل شيء، قال سبحانه: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾[السجدة:٥-٧]. وهو على الحقيقة مدبر كل شيء في هذا الكون، ومن تدبير الله سبحانه لعباده أن أمرهم بأن يأخذوا حذرهم فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟

---

(١) المبحث الثالث من الفصل الثاني، موقف الخلفاء الراشدين من البطالة.

(٢) المعجم الوجيز، ٢٠١.

(٣) بعض حديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ٢/ ١٢٠، وهذا كلام الصحابي عروة بن مسعود يصف به خطة النبي في يوم الحديبية لما كان سفيراً لقريش إلى النبي. وكان ساعتها في صف المشركين الإصابة ٤/ ٣٩٨

حِذْرَكُمْ ﴾[النساء:٧١]. وأمر بالإعداد والاستعداد، فقال ﷻ: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[الأنفال:٦٠]. وقد سبق أن الله - سبحانه - قد حثنا على عمارة كونه وأن نأخذ بأسبابها.

والرسول ﷺ قام بهذا الدور في تشغيل المتعطل من خلال تهيئة الأسواق بالضوابط الشرعية التي توفر الكسب لصغار التجار قبل كبارهم، فيحرم الاحتكار، والغش، والظلم، وتطفيف الميزان، والغبن، وأن يبيع الرجل على بيع أخيه، فعمل النبي ﷺبهذا يدل على قيامه بدور المخطط من خلال تشغيله الفعلي للمتعطل، وقد نهج الخلفاء الراشدون نهج النبي ﷺ فخططوا للأمة أمرها وقد سبق الحديث عما اتخذه عمر رضي الله عنه مع المتعطل من وسائل دفعته إلى الكسب الحلال الذي أذهب عنه بطالته،ولكل خليفة راشد أسلوبه الحكيم الذي واجه به البطالة من خلال تخطيط تشريعي أصاب به علاج هذه المشكلة.

التخطيط للأعمال الشرعية:

كما ظهر تخطيط النبي للأفراد من خلال المكاسب العديدة التي حث عليها الرسول ﷺ من زرع وغرس، وتحبيب للعمل اليدوي، والمهن القائمة على المهارات الفردية من تجارة، وخياطة وغيرها من مئات الحرف التي كانت في عهده المبارك [1]، وظلت قائمة إلى يومنا هذا ثم تطورت-تلك المهن اليدوية- وصارت تقام لها المصانع والورش الإنتاجية، كل هذا من التخطيط الذي يسعى ولاة أمور المسلمين إلى تحقيقه فتلك مسئوليتهم.

علاقة التخطيط بالتنفيذ:

غالبا ما يتسم التخطيط بالتنفيذ، فقد كان ذو القرنين على رأس هؤلاء العمال المنفذين لبناء السد، فهو كالمهندس الذي يمثل الخبرة العلمية في عملية بناء السد من تدبير موارد البناء ومواده، ولم ينس دور القوى البشرية في العملية التخطيطية والإنتاجية فقد استطاع ذو القرنين أن يحول شعبه من مجتمع شعاره كما بين القرآن في قوله: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾

[الكهف:٩٤].

---

(١) «تخريج الدلالات السمعية» التلسماني، فقد اشتمل على الصنائع والحرف والمعاملات التي كانت في زمن النبي ﷺ ومن عمل بها من الصحابة رضي الله عنهم.

إلى مجتمع شعاره ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[الكهف:٩٥]. وما يقتضيه ذلك من تدريب على عمل شاق ومتواصل هذه القوى البشرية تعد عناصر فعالة في عملية تنفيذ الخطة المرسومة[١].

التخطيط والاستثمار لفتح آفاق العمل:

إن موارد الدولة المالية كان ينظر إليها على أنها أمانة في أعناق الولاة،يرى فيها الخليفة ما يصلح شئون العباد في جميع البلاد، وقد ظهر ذلك في سياسة الصديق والفاروق وعثمان وذلك لأن المال هو الوسيط النقدي الذي به ينال الإنسان حاجاته، فقد احترف أبو بكر في موال المسلمين وحافظ عليها من الضياع لذلك قال: «سيأكل آل أبى بكر من هذا المال، وأحترف للمسلمين فيه »[٢].

قوله: «وأحترف للمسلمين فيه» يدل على أن الصديق كان تاجرًا ماهرًا فكان يتجر لهم في أموالهم حتى يعود عليهم ربحه، ويسعى في مصالحهم وينظر في أموالهم حتى يبارك لهم فيها بالعمل الصالح والمتاجرة الرابحة، كما حافظ الصديق على موارد الدولة فحارب مانعي الزكاة – وهى مورد مالي للدولة المسلمة – فأعاد الناس إلى أدائه له وأنفقه في مصارفه الثمانية.

كذلك شجع الفاروق عمر على ممارسة العمل التجاري لأفراد الأمة مما يدل على أن للدولة أن تستثمر مواردها في فتح النشاط التجاري والحرف اليدوية الصغيرة عن طريق القراض ففي ذلك استثمار لأموال المسلمين من خلال تشغيل المتعطلين الأمر الذي يوسع أنشطة العمل ويعالج البطالة الإجبارية، كما يفيد أن للدولة أن تستثمر مواردها في فتح مشاريع عمل للمتعطلين من مصانع في العديد من الحرف الرئيسية مثل مصانع الملابس ومصانع الأغذية وورش للمهن التقليدية مثل الطباعة، الدباغة، الخياطة، والصباغة، والنجارة، والحدادة، وتصليح الآلات والمعدات المختلفة.

---

(١) «الإسلام والاقتصاد» دكتور عبد الهادي على النجار ص ٢٣، «مناهج الدعوة وأساليبها» دكتور على جريشة ص ١٠، «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعى ص ٢٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع.

وقد سبق ما للزكاة من دور حيوي في مجال تشغيل العاطلين وتدريبهم وتنمية مهاراتهم بما فيه كفاية، مما يدل على دور السياسة المالية في علاج البطالة الإجبارية وقد تنبه الخلفاء الراشدون إلى ذلك في وقت مبكر، يقول الفاروق رضي الله عنه «فما يكون لمن جاء من المسلمين »[1] وذلك في مجال الحفاظ على الأرض لأهلها مع ضرب الجزية على أهلها والخراج على الأرض.

٢-التعليم:

لقد حث الإسلام الحنيف على طلب العلم النافع، وخاصة إذا كان العلم مما يحتاج إليه المجتمع ؛ «فقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب للنبي ﷺ كتبه إليهم، وقرأ كتبهم للنبي إذا كتبوا إليه »[2].

ارتباط التعليم بحاجة المجتمع:

إن أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود- السريانية- فيتعلمه في خمس عشرة ليلة- إن دل على شيء فإنما يدل على علاقة التعليم بالعمل، كما يدل على نظرة السلطان لأهم العلوم التي تفيد المجال العملي وسعيه في تعليم وتحقيق تلك العلوم في المجتمع، ويحمل على ذلك علوم الطب، والهندسة، وطبقات الأرض، والكيمياء وغير ذلك من العلوم التي تساعد على تحقيق مصالح ضرورية للمجتمع مع الصبر على عناء تحصيل تلك العلوم، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:١١]. فقد اعتبر علماء الإسلام أن تعلم وتعليم تلك العلوم من فروض الكفايات كما أن تعليم أصول الحرف والصناعات من فروض الكفايات يقول الإمام الغزالي: «لو خلا البلد منها لتسارع الهلاك إلى أهلها وتحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك»[3]، الأمر الذي يدل على أهمية التعليم في علاج مشكلة البطالة؛ فالمتعلم تتنوع لديه وسائل العمل بين العمل

---

(١) أبو يوسف، الخراج، وقد سبق في المبحث الثالث في الفصل الثاني.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، ٤/ ٢٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/ ٣٠١ المجلد الثالث.

(٣) «إحياء علوم الدين» الإمام الغزالي ١/ ٣٢.

البدني والذهني فيقوم بالاختيار من بين هذه الاختيارات وتتسع مجالات كسبه وليس كذلك غير المتعلم .

ارتباط التدريب بمجال التعليم:

إن ارتباط المجال العملي بالعلم قد تنبه له علماؤنا قديمًا حيث أيقنوا أن ثمرة العلم العمل، «فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر»، ولذلك فإن من مسئولية ولاة الأمر إنشاء دور العلم التي تدرس بها هذه العلوم العملية، مع توفير مراكز التدريب حتى يضمن المجتمع عاملًا متدربًا، وهذا من التخطيط الدقيق، وقد سبق ما للعلم وإعداد الكوادر العلمية، من صلة قوية بالصناعة في الإسلام، ولذلك فإن جميع فروع العلم الطبيعي تساعد على تحقيق التوسع في العمل وقد سبق به الإسلام علماء الغرب الذين ينادون بضرورة الجمع بين العلم والتدريب في التعليم الفني والصناعي، فيقول غستاف لوبون «في بلد زراعي كفرنسا يجب أن تعنى مدارس الزراعة بالزراعة العملية لا بالكتب والنظريات، ولكن الكتب والنظريات هي كل شيء في هذه المدارس»[1].

لذلك أمر الفاروق عمر رضي الله عنه كل من يدخل السوق أن يتعلم فقه المعاملات، كما أجبر السائل على أن يتعلم فلاحة الأرض، وهذا بوصفه وليا لأمر المسلمين مما يدل على المسئولية الكبرى التي تقع على عاتق ولاة الأمور في علاج مشكلة البطالة من تخطيط وتعليم وقد تنبه الفاروق عمر لما توصل إليه علماء التربية والاجتماع الغربيون اليوم، قبل ألف عام من الزمان بل يزيد، ويعد هذا من عبقرية الفاروق، ومن كمال هذا الدين الخاتم.

ارتباط التعليم مع الواقع البيئي:

يعتبر التعليم ضمن هذا الإعداد الذي أمرنا الله به في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠]. فلابد من ارتباط التعليم بالواقع فالمجتمع الزراعي لا يتعلم أهله الصيد، والمجتمع التجاري لا يتعلم أهله تربية الأنعام، ولكن الواقع البيئي

---

(١) «روح التربية» غستاف لوبون ص ٨٤.

الذي يعيش فيه الناس، هو الذي يظهر أي الأعمال أولى بالفرد أن يتعلمها ويتقنها، ويتدرب عليها كي يمارسها لخروجه من حالة البطالة ويكتسب منها قوته.

ومما يدل على ارتباط التعليم ببيئة الفرد وواقعه ما ورد في السنة النبوية من أن (رجلًا جاء إلى الرسول ﷺ يسأله عن الصيد بالمعراض، فقال: «ما أصاب بحده فكله وما أصاب بعرضه فهو وقيذ»، وسأله عن صيد الكلاب، فقال له : «ما أمسك عليك ولم يأكل منه فكله فإن ذكاته أخذه، فإن وجدت عنده كلبا آخر فخشيت أن يكون أخذه معه، وقد قتله فلا تأكل إنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على غيره»[1]، فقد علّم النبي ﷺ السائل عن الصيد بالمعراض وصيد الكلب لأن حاجة السائل قوية لمعرفة ذلك، إذ بالصيد تقام معايشهم وينالوا أرزاقهم، وتعارفوا على ذلك في بيئتهم، والصيد بالكلب، هو الكلب المعلم المدرب، قال تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾[المائدة:٤].

دور المسجد في التعليم:

كانت الحياة على عهد رسول الله ﷺ سهلة يسيرة فكان الرسول يقوم بأداء هذه المسئولية في مسجده الذي أسسه لما هاجر إلى المدينة المنورة، قال الشيخ جاد الحق على جاد الحق: «كان المسجد أول مدرسة في الإسلام، تبنى الأجيال وتصنع الأبطال، وتعدهم خير إعداد وعن طريقه يقوم كيان الأمة الروحي، كما أنه أساس لدعم وجودها المادي»[2]، فدور

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح باب الصيد بالكلاب المعلمة، ١٣/ ٧٦ والمعراض : سهم لا ريش له. المصباح المنير، ص ٢٤٠، والذكاة بالذال المعجمة قطع الحلقوم والمريء مع الودجين، قال تعالى : (إلا ما ذكيتم)، المصباح المنير، ص ١٢٨، والوقيذ : هو المضروب حتى أشرف على الموت،انظر المصباح المنير ص١٢٨ ،٢٤٠، ٣٩٧.

(٢) «المسجد إنشاءً ورسالة وتاريخًا» الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص ١٢، «المسجد ومكانته والإمام ورسالته» منصور الرفاعي عبيد ص ١٠٥ .

المسجد في التعليم يذكر على مدى تاريخ التحضر الإسلامي ولا ينكر ذلك إلا جاحد أو معاند.

ولما كثرت فروع التعليم وتعددت العلوم التي يحتاجها واقع الناس صارت الحاجة قوية لإنشاء دورًا للتعليم، من مدارس وجامعات وهذا واجب أولى الأمر أن ينشئوا المدارس التي تدرس بها العلوم التي تخدم الحياة العملية، والواقع المعيشي.

٢-فتح مجالات العمل (التوظيف):

لقد أمّر النبي ﷺ بعض أصحابه على بعض الأعمال، مثل القضاء، والتعليم، وجباية الزكاة، ولقد سأل بعض الصحابة النبي العمل ففي الحديث «أن أبا موسى الأشعري قال: أقبلت على النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ يستاك، فقال: «ما تقول يا أبا موسى - أو يا أبا عبد الله ابن قيس - » قال: فقلت والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت، فقال: «إنا لن - أو لا - نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى - أو يا عبد الله بن قيس - فبعثه على اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل»[(١)].

وقد أقام النبي الوظائف[(٢)] والعمالات لبعض أصحابه ولكن كان يستعمل على العمل من لم يستشرف له ويطلبه، ولكن من توافرت فيه شرائط هذا العمل من العلم والأمانة والاجتهاد، ولذلك استعمل النبي أبا موسى الأشعري، وأتبعه بعد ذلك معاذ بن جبل وقد

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها، ١٢/ ٢٠٨ وقلصت شفته، انزوت وارتفعت، المصباح المنير، ص ٣٠٥ ويستاك أى يطهر أسنانه بالسواك وهو عود من شجر الأراك.

(٢) الوظيفة : هي ما يقدر من عمل أو رزق أو طعام أو غير ذلك في زمن معين والوظيفة والمنصب والخدمة المعينة المصباح المنير ص٣٩٥ المعجم الوجيز.

أصابت نظرة رسول الله فيمن أرسله على الأعمال وقد سبق ما للصحابي الجليل «معاذ» من دور في تأهيل أهل اليمن على الكسب والعمل الذي برعوا فيه من خلال صدقة الفطر [1].

محاسبة العمال:

كان النبي ﷺ يحاسب عماله على ما فرطوا، ويقطع لهم ما يكفيهم من المال جزاء ما شغلوا عن مزاولة كسب أنفسهم وينفع أهلهم،وقد روي أن رسول الله ﷺقام فخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، أستعمل رجالًا منكم على أمور مما ولاني الله فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم، وهذه هدية أهديت لي، فهلا جلس في بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، فو الله لا يأخذ أحدكم منها شيئًا – قال هشام [2]، بغير حقه – إلا جاء الله يحمله يوم القيامة»[3]، فإن محاسبة العمال مسئولية ولى الأمر أو من ينوب عنه[4] ولها دور فعال في علاج البطالة المستترة خاصة.

دور العمال في تسهيل شئون المكاسب:

إن النبي ﷺ بحكم مسئوليته فقد ولى العمال في الأعمال، وهذا واجب الولاة، هؤلاء العمال يعملون على توفير مكاسب الخلق، وتسهيل ذلك من شئون الزراعة والصناعة، والتجارة، وتأمين طرق الضاربين في الأرض، ولقد تقلد نبي الله يوسف عليه السلام خزائن الأرض فكان كما قال الله على لسانه: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف:٥٥]. فقد تحققت شرائط العمل في يوسف – عليه السلام – قبل أن يطلبه وفى ذلك ما يقيد من ضرورة توافر شروط العمل في العمال فإن العمل في الأحوال يحتاج إلى الحفظ

---

(١) راجع دور التصدق في التأهيل النفسي والسمو بهدف المتعطل، الفصل الثالث، المبحث الثانى المطلب الخامس.

(٢) وهو أحد رواة الحديث.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري، كتاب الأحكام، باب محاسبة الإمام عماله، ٤/ ٢٤٤.

(٤) ابن تيمية، الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، ص ٢٩.

والأمانة والحرص على الأموال العامة، ويحتاج أيضا إلى: العلم بطرق التخزين والحساب – خاصة – في عمل كعمل نبي الله يوسف عليه السلام.

يقول الإمام الماوردي: «إن تقليد العمال معتبر بنفوذ الأمر، وجواز النظر، فكل من جاز نظره في عمل نفذت فيه أوامره، وصح منه تقليد العمال عليه وهذا يكون من السلطان. ومن يصح أن يتقلد العمالة، هو من استقل بكفايته، ووثق بأمانته »[1]، فمن يتقلد العمل العام عليه واجب ومسئولية يجب أن يؤديها حتى يكون سببًا في تسهيل الكسب لمن تحته وذلك بتوظيف الأفراد، وتقليد كل فرد ما يناسبه من عمل يتفق مع قدراته وتخصصه، هذا إذا كان الفرد قادرًا على الكسب،، أما إذا كان غير قادر على الكسب فشأنه كشأن المرضى والعجائز وذوى الإعاقات البدنية فكفاية هؤلاء تقع على عاتق الدولة ممثلة في ولاة الأمر في الأمة الإسلامية من خلال تدبير الموارد المالية من بيت مال المسلمين «وزارة المالية».

الإجبار على الكسب الضروري للمجتمع مسئولية ولاة الأمر:

ومما تتجلى فيه مسئولية الولاة في علاج مشكلة البطالة إذا توافرت الأعمال والأشغال، وتعطل الفرد باختياره فإنه يؤمر بالعمل ويجبر على مزاولته، وإلا يعزر، حيث الرضا بالبطالة ذنب يحاسب عليه العبد، إذا فرط في الواجب عليه من قوت نفسه ومن يعول، لذلك فإن الرسول ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغنى، ولا لذي مرة سوى »[2]، فالمتعطل برضاه المتوفر لديه فرصة العمل المناسبة، لا يستحق المعونة ولا العطاء من الزكاة، إذ إن القدرة على العمل كالقدرة على المال، قال عمر رضي الله عنه: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة »[3]، ومن هنا ندرك مسئولية الولاة في إجبار المتعطل باختياره على ممارسة العمل النافع لنفسه ومجتمعه.

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٠٩.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود، (٢ / ١٢١).

(٣) اللبودى، فضل الاكتساب، ص ١٤٢.

إن المحزن أن في مجتمعاتنا المسلمة آلاف العاطلين باختيارهم، فقدوا قيمة العمل والاكتساب ولا علاج لأمثال هؤلاء سوى إجبارهم على العمل خاصة إذا كان العمل في مجال يفرضه واقع المجتمع كالحاجة إلى الأقوات فيجبروا على الزراعة، أو الحاجة إلى التجارة فيجبروا على المتاجرة ويكون لهم ما يكفيهم مقابل ما يقدمون من عمل وجهد، قال ربنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]. يقول ابن تيمية: «إذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو نساجتهم، أو بنائهم صار هذا العمل واجبًا يجبرهم ولى الأمر عليه، إذا امتنعوا عنه بعوض المثل، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل »[1].

إن من أحكام الإسلام فريضة بعض المكاسب، فلو ترك الفرد أداء هذه المكاسب وامتنع ألزمه ولى الأمر أو من ينوبه بممارسة هذا العمل الواجب لصالح المجتمع الإسلامي، ولقد دلنا القرآن المجيد على العمل المتقن الذي يزيد الإنتاج ويستثمر الطاقات، يقول: دكتور: معاذ عبد الله أبو غزالة: «إن مجتمع الإسلام هو الذي يرتكز فيه البناء على قاعدة من الإيمان والعمل الصالح، فالعمل الذي يدعو الإسلام إليه هو العمل المنتج القائم على الأمانة والإخلاص، وإن بلاد الإسلام بها من الموارد والخيرات لو استثمرها المسلمون بالأساليب الحديثة لخرجوا من مشكلاتهم، وإن من أمثل الطرق للخروج من الضوائق الاقتصادية هو بذل المجهود، واستغلال الطاقات المعطلة، والقضاء على مظاهر الكسل والخمول »[2]، إن قيام المجتمعات على الإيمان بالله والعمل الصالح، علاج لكل مشكلة يعانيها البشر، فالإيمان يهدى النفس الإنسانية، والعمل الصالح يصلح المعوج، ويبنى الحياة بناءً صالحًا مستقيمًا وقد ذكر الله - تعالى - هذين الركنين فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

---

(١) «الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية» ابن تيمية ص ٣٠.

(٢) «الحسبة في الإسلام» دكتور معاذ عبد الله أبو غزالة ص ٤٦٣.

ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور:٥٥]، فتبين من النص أن الاستخلاف الإنساني وأن التمكين في الأرض مبنيان على ركنين هما:

الركن الأول: الإيمان وبه يتحقق الفوز في الآخرة والأولى.

الركن الثاني: العمل الصالح وبذل الجهد.

ومما يحكى في جبر المتعطل باختياره على العمل ما أخبر الماوردى: «أنه قد مر إبراهيم بن بطحاء «والى الحسبة بجانبي بغداد » بدار أبى عمر بن حماد وهو يومئذ قاضى القضاة فرأى الخصوم جلوسًا على بابه ينتظرون جلوسه للنظر بينهم وقد تعالى النهار وهجرت الشمس، فوقف واستدعى حاجبه، وقال له: «قل لقاضى القضاة: الخصوم جلوس على الباب وقد بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فإما جلست لهم أو عرفتهم عذرك فينصرفوا ويعودوا» [1]، فهذا يدل على أن والى الحسبة كان يجبر من تأخر عن وظيفته على أن يأتي لأداء عمله فما الحال لو ترك العمل بالمرة وتعطل وتعطلت فرائض العمل والمكاسب ومصالح الخلق.

إن إجبار المتعطل على العمل من أمثل طرق علاج البطالة الاختيارية التي قد تظهر في صورة بطالة مقنعة حيث يعمل المتعطل عملًا لا يرغبه فلا ينجز فيه، فعلى أجهزة الرقابة إجباره على أداء عمله فإن تأبى يعزر حتى يعمل أو يتولاه غيره ثم يحرم العاطل من المعونة وعطاء الزكاة تأديبًا له حتى يظهر حسن الاستقامة، يقول الماوردى في الأحكام السلطانية: «وإذا تعرض للمسألة ذو جلد وقوة على العمل زجره وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله، فإن أقام على المسألة عزره حتى يقلع عنها » [2]، إنه من المستحيل قطع دابر التعطل الاختياري

---

(١) الماوردى الأحكام السلطانية، دار الفكر، ص ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٨،محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، نهضة مصر الأولى سنة ١٩٩٦، ص ٤٩، دكتورة سعاد إبراهيم صالح، مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي وبعض تطبيقاته، ١٧٠.

بالنصائح والتذكير فقط لأن الضوائق الاقتصادية تخلق التعطل خلقًا فلا مخرج من التعطل إذن إلا أن يصبح العمل فرضًا ملزمًا يلتزم به كل فرد قد اختار البطالة.

٤-عدالة التوزيع:

إن الله سبحانه أمر الناس بالعدل فيما بينهم حتى لو كانوا مختلفين في الديانة فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة:٨]. وقد نظر الخلفاء الراشدون إلى توزيع المال نظرة عدل وإنصاف.

عدالة التوزيع بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما:

لقد أورد القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج ما يدل على عدالة التوزيع في عهد أبي بكر الصديق، وعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال: «لما ولي أبو بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ قدم على أبي بكر رضي الله عنه مال، فقال: من كان له عند النبي ﷺ عدة فليأت، فجاءه جابر بن عبد الله، فقال: قال لي رسول الله ﷺ: «لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا يشير بكفيه»، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: خذ فأخذ بكفيه ثم عده فوجده خمسمائة فقال: خذ إليهما ألفًا، فأخذ ألفًا ثم أعطى كل إنسان كان رسول الله ﷺ وعده شيئًا، وبقيت بقية من المال فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير، والحر والمملوك، والذكر والأنثى فخرج على سبعة دراهم وثلث لكل إنسان فلما كان العام المقبل جاء مال كثير هو أكثر من ذلك فقسمه بين الناس، فأصاب كل إنسان عشرين درهمًا، فجاء ناس من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم، فقال: «أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك؟! وإنما ذلك شيء ثوابه على الله - جل ثناؤه - وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة»، فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجاءت الفتوح فضّل وقال: «لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه»، ففرض

لأهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة آلاف، ولمن لم يشهد بدرًا أربعة آلاف، وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر دون ذلك، أنزلهم على قدر منازلهم من السوابق»[1]، يتضح مما سبق على أن ولاة الأمر بين صورة من صورتين لعدالة التوزيع:

الأولى: التسوية في العطاء، حيث إنه معاش والأسوة فيه خير من الأثرة فهذا مسلك الصديق.

الثانية: التفضيل لأهل السوابق والفضل فهذا مسلك الفاروق عمر ،وفى كلا المسلكين خير إذا ما اتقى كل مسئول الله فيما استرعاه على شريطة أن يكون التفضيل بين الناس على أساس يقبله العقل والدين من العمل الصالح أو علم نافع أو سبق لخير يقدمه الفرد لخدمة مجتمعه أو غير ذلك مما يتفاضل به الناس.

علاقة عدالة التوزيع بعلاج البطالة:

وتظهر علاقة العدالة في التوزيع بالبطالة بجلاء في صورة زيادة أجور بعض العاملين بشكل مبالغ فيه، في حين لا يجد المتعطل ما يقيم به صلبه، لذلك قال عمر - رضى الله عنه: «والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه» [2]. فتوزيع الأجور على الأفراد يجب أن يكون بالعدل حتى تتحقق العدالة الاجتماعية، وقد سبق ما في مورد الزكاة من وجوه عدة لعلاج البطالة وما على ولاة الأمر إلا أن ينظروا في ولاية الزكاة ويفعِّلوا أحكامها لعلاج مشكلة البطالة من خلال:

١ -إعانة المتعطلين بسد حاجتهم الضرورية

٢ -أو تمويل فرص عمل لهم

---

(١) أبو يوسف، الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، فصل كيف كان فرض عمر لأصحاب رسول الله، ص ٤٢.

(٢) «الخراج» أبو يوسف ص ٤٦.

٣- أو تأهيلهم للعمل بفتح مشروعات تعلمهم وتؤهلهم لاحتراف مهنة من المهن .

وكذلك يجب على ولاة الأمر أن يخصصوا جانبا من الموارد المالية في إقامة المشروعات التي تتسم بكثافة الأيدي العاملة، حتى يتحقق التشغيل الدائم للأفراد في أعمال إنتاجية إعمالا لقوله ﷻ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

إذا أنفق ولاة الأمر المال بغية التوسع في المكاسب الأصلية «زراعة وصناعة وتجارة «كما وكيفا» [1] فلا شك أن فرص العمل سوف تتاح لكثير من المتعطلين وهذا ما فعله الصديق أبو بكر حينما قال «وأحترف للمسلمين فيه»وما من متعطل إلا وله حق في المال وقال عمر«ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال».

ويظهر أثر عدالة التوزيع في تحقيق المساواة، واختفاء الطبقية من المجتمع «طبقة العاملين، وطبقة المتعطلين »، و يتساوى الجميع في حق العمل.

المطلب الثاني : مسئولية العلماء:

إن مسئولية العلماء في تفعيل حق الفرد في الكسب والعمل تظهر في تعليم وتوجيه الأفراد إلى أصول المكاسب، والتذكير بخطورة أخلاق معينة إذا تخلق بها المرء يصير معدمًا وكَلًّا على الناس.

العلماء وبيان أضرار البطالة:

والواجب على العلماء إرشاد الأمة إلى أمور العقيدة التي يتأكد بها المسلم من أن البطالة معصية تخالف أمر استخلاف الإنسان في الأرض، وأن القرآن قد قرن الإيمان بالعمل الصالح، وأن زيادة الإيمان ونقصانه يكون وفق ما قدم الإنسان من عمل صالح، وأن

---

(١) التوسع الكمي: يكون في ذات المكاسب، بالتوسع في رقعة الأرض المنزرعة، والتوسع في أصل مكسب الزراعة توسعًا في زراعة الأرض بإحياء مواتها، والتوسع الكيفي: بزراعة ما تقوم عليه إشباع الضروريات والحاجيات والتحسينات، وكذا الصناعة والتجارة.

الله سبحانه جعل لكل عامل أجره، وأن الحياة لا تؤخذ بالأماني الحالمة بل بالجد والعمل، قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

[النساء:١٢٤،١٢٣]

ومن الواجب على العلماء بيان عدم المعارضة بين الكسب في الإسلام والعبادة ؛ فالعلاقة بينهما علاقة توافق وانسجام، مادام قد أدى المسلم ما فرضه الله تعالى عليه منهما.

العلماء وتصحيح المفاهيم الخاطئة:

إن العلماء هم أدرى الناس بالشبهات، التي قد تعلق في عقول وقلوب الجمهور، فمسئوليتهم تظهر من خلال إزالة تلك الشبهات، ودفع هذه الإشكالات التي تعترض الأفراد، كما يجب على العلماء المصلحين إرشاد المتعطل المصاب بآثار نفسية سيئة جراء البطالة بالموعظة الحسنة كما فعل النبي ﷺ مع الشاب بعدما دله على العمل فقال له : «هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسالة لا تصلح إلا لثلاثة :لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع» [1]، فعلى العلماء الاقتداء بالنبي ﷺفي تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المتعطلين تربية لنفسياتهم ليجابهوا حالة البطالة .

دور العلماء في بيان منزلة العمل:

إن على العلماء واجبًا متمثلًا في بيان منزلة العمل في الإسلام، ومدى ما للكسب الحلال من أثر على تنشئة مجتمع صالح، وأن الأعمال لا تتفاضل بالأجور العالية لكنها تتميز بما يقدم المرء من خير وصلاح في الدنيا.

إن الأعمال لا تتفاضل بالوجاهة الاجتماعية، وإنما تتميز الأعمال بإتقانها وجودتها، فقد باشر أصحاب النبي ﷺ حفر الخندق بأنفسهم ولم يتنزهوا عنه، وفى الحديث الشريف أن «رسول الله ﷺخرج إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن.

لهم عبيد يعملون ذلك لهم» [1]، وأن الرسول باشر معهم العمل في ذلك بنفسه ولم يستنكف عنه ففي الحديث أن البراء رضي الله عنه قال: «لما كان يوم الأحزاب وخَندَق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر» [2]، فالعلماء الربانيون يوضحون ذلك للأمة، ويشرحون أحوال النبي مع أصحابه، فلم يتميز بالعمل السهل دونهم، وهو قدوة للناس أجمعين في العمل .

ويوضح العلماء قيمة العمل وذلك بأنه لا يوصف العمل بكونه رفيعا أو وضيعا لذاته، وإنما يتفاضل العمال بالتقوى والصلاح ثم إن التفاضل بين الأعمال تفاضل ظاهري، ولا يضر المرء أن يتدرب على العمل حتى يتقنه، فيعلو قدره بين الناس لإتقانه وإحسانه وتجويده العمل، لذا قال سبحانه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الأحقاف:١٩]. هذه من مظاهرالمسئولية الملقاة على عاتق العلماء في علاج أزمات الأمة .

دورالعلماء في تربية الغنى والفقير:

ومن مسئولية العلماء كذلك تجاه هذه المشكلة الاجتماعية مسئولية تربوية للفرد الغني والفقير على حد سواء تربية تجعل كل واحد منهم عنصرًا صالحًا نافعًا لنفسه وأهله، في مجتمع يحوطه التعاون والتكافل بين الناس.

إن الفقير يحتاج إلى عون الغنى، ولكنه لا يتكل على ذلك، بل يسعى في رفع حالة بطالته، وقدر ربى النبي ﷺ وأصحابه على التعاون فيما بينهم، من هاجروا معه وكانوا فقراء ومن ناصروه وكانوا أغنياء، فقد روي أن عبد الرحمن بن عوف قدم «المدينة فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى – فقال لعبد الرحمن أقاسمك مالي نصفين وأزوجك، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فما رجع حتى

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣١، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري باب غزوة الخندق ٣/ ٣٢، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. «فقه السيرة النبوية» محمد سعيد البوطي ص ٢١٣.

استفضل أقطًا وسمنًا فأتى به أهل منزله، فمكث يسيرًا - أو ما شاء الله - فجاء وعليه وضر من صفرة، فقاله له النبي ﷺمهيم »[1].

إن الأغنياء عليهم دور كبير في علاج البطالة، فلابد أن يرشدهم العلماء إليه، ويتمثل هذا الدور في التكافل والتعاون مع المتعطلين، من خلال عقد الهبة، والقرض الحسن، والصدقات، والوقف الخيري، وعارية آلة العمل، وغير ذلك الكثير من التدابير الشرعية المستقرة في ذاكرة فقه الأمة الإسلامية التي هجرها كثير من مجتمعات المسلمين فعانوا البطالة والفقر، لكن واجب العلماء ومسئوليتهم تذكير المؤمنين بتلك العقود والمعاملات ويظهروا للناس مدى سعة رحمة الله بمشروعية تلك المعاملات للأمة تيسيرًا عليها.

وأوجه التعاون كثيرة وعلى العلماء مسئولية حث الأغنياء في المجتمع على الالتزام الخلقي بهذه الشريعة السمحة التي حثت على الجود بهذا المال، وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال «العُمْرى لمن وهبت له »[2]، والعمرى لفظ مشتق من العمر وهى تمليك المنافع وإباحتها مدة العمر وهى على وجوه أوردها الفقهاء في كتب الفقه الإسلامي[3] وقد عمل بها الصحابة - رضوان الله عليهم - فقال جابر رضي الله عنه: «إنما العُمْرَى التي أجاز رسول الله ﷺ أن يقول: هي لك ولعقبك فأما إذا قال هي لك ما عشت فإنها ترجع إلى صاحبها »[4] وهذا من شأنه أن يساعد على علاج مشكلة البطالة.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ٢/ ٣، ومهيم كلمة يقولها الشخص ومعناها ما أمرك ؟ ميهم: كلمة يقولها الشخص ويعني بها: ما أمرك؟ قال أبو عبيد: وكأنها كلمة يمانية. والأقط: يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يُمْصل (اللبن الرايب)، والوضر هو أثر الحناء، انظر المصباح المنير للفيومي، ومختار الصحاح للرازي.

(٢) الحديث متفق عليه،انظر: "اللؤلؤ والمرجان".ص ٣٣٠، واللفظ لمسلم، وفي رواية أخرى لمسلم بلفظ (العمرى جائزة) ١١/ ٧٠.

(٣) أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣/ ٢٢١.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١١/ ٧١.

ويعد هذا الالتزام علاجًا حاسمًا للبطالة بتوجيه من العلماء فهم من يعلم هذه الأحكام السمحة والأخلاق النبيلة فيلتزم بها الأغنياء في المجتمع.

المطلب الثالث: مسئولية الأسرة:

إن مسئولية الأسرة في الإسلام تنبع من حق الولد على والده في إحسان تربيته، وقد ورد في القرآن موعظة والد لولده، عرفنا منها أصول تربية الأولاد في الإسلام هذه الموعظة هي موعظة لقمان - عليه السلام - لابنه في قصة بناء البيت الحرام، كما ورد في القرآن ممارسة والد مع ولده العمل المجهد الشاق من تشييد وعمران إذا بلغ معه السعي.

ويتلخص دور الأسرة في الإسلام من خلال ما يلي:

١ -غرس قيمة العمل لدى الأولاد، و القرآن الكريم يشير إلى ذلك في قصة بناء البيت الحرام،عندما قال نبي الله إبراهيم عليه السلام لابنه: «يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبنى هنا بيتًا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبنى »[(١)]، إن هذا التفاعل والتجاوب بين الوالد وولده لدليل على أن التربية والتوجيه بقيمة العمل مما ربى إبراهيم عليه ولده إسماعيل، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾[الصافات:١٠٢]. فالمعنى كما بين أهل التفسير: «فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه و «معه » متعلق بمحذوف دل عليه السعي[(٢)]، زيادة في البيان فكأنه لما قال: «فلما بلغ معه السعي، قيل مع من؟ فقال: مع أبيه، والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به، والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل أوانه»[(٣)].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ٢/ ٢٣٧ والأكمة، المكان المرتفع.

(٢) لماذا لم تتعلق (معه) بالفعل بلغ أو بالسعي ؟ في تفسير الكشاف ٣/ ٣٤٧،و البيضاوي ٢/ ٢٩٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ٣/ ٣٤٧، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٩٨، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٨٦، المجلد الثامن.

إن هذا التعلق في «معه» يدل على أن نبي الله إبراهيم كان يربى ولده إسماعيل تربية حسنة على السعي والعمل، وكيف لا ؟! وإسماعيل يجهَّز ليرفع القواعد من البيت مع أبيه، إن في هذا التعليق لدليل على مسئولية الوالد في غرس قيمة السعي والعمل في خلد ولده حتى ينشأ على حب العمل، وبذل الجهد.

٢- تدريب الأولاد على الأعمال:

وعلى الوالد أن يدرب ولده على كسبه الذي يمارسه، وقد سبق ما لذلك من أثر فاعل في بناء شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه على الاحتراف التجاري، والذكاء الاقتصادي، فقد أخرجه أبوه معه في رحلة تجارية إلى اليمن، كما أخرج عوف بن عبد مناف ولده عبد الرحمن[1]، في تلك الرحلة وذلك تدريبا على شق دروب الحياة في الكسب، فلا يكتفي الوالد بالعظة النظرية، بل يدرب ولده على احتراف العمل، ومزاولته.

المطلب الرابع: مسئولية الفرد:

وتتضح مسئولية الإنسان في علاج البطالة فيما يلي:

بذل الجهد في طلب المكاسب: إن خلافة الإنسان في الأرض، وتسخير الكون كله له، وأمر الله - عز وجل -الفرد بأن يمشي في مناكب الأرض وأن يأكل من رزقه تعالى لأمور تحتم على كل إنسان أن يبذل جهده ليكتسب قوته، وهذا ما قام به كل أنبياء الله تعالى خاصة، نبي الله موسى عليه السلام لما كان في أرض مدين فقد توكل على ربه، وبذل جهده، وأخذ بما يستلزم العمل والاكتساب، قال الله - تعالى - في بيان ذلك: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ

---

(١) قد سبق ذلك، في موقف عثمان عن البطالة، من الفصل الثانى ،المبحث الثالث.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق أحمد حجازى السقا، دار التراث العربى، ٤/ ٣٢٧.

مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾[القصص:٢٢-٢٨]. في هذه الآيات البينات بيان لما فعله كليم الله موسى عليه السلام من الاشتغال والاكتساب لقوته وتجلى ذلك في الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: التوكل على الله تعالى:

التوكل على الله والاعتماد عليه واللجوء إليه – سبحانه – في تيسير ما يصبو إليه، حيث أخذ موسى يدعو ربه قائلًا: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وهذا التوجه إلى مدين كان في الأصل هربًا من الطلب وصار موسى في وحدة واحتياج لضروريات الحياة[1]، وهذا حال يختبر فيه صبر الرجال، وقوة إيمانهم[2]. أشبه حال بالبطالة الاضطرارية وآثارها.

الخطوة الثانية: إظهار الرغبة في العمل:

قدم موسى عليه السلام العمل الذي ساعد به امرأتين ولما انتهى منه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، فبعد ما سقى موسى ماشيتهما رحمة بهما، «وكانت الرعاة- آنذاك- يضعون حجرًا على رأس البئر لا يقله[3] إلا سبعة رجال أو أكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع، وقيل: كانت بئرًا أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم

---

(١) إذا كان موسى يعاني الطلب والهرب، فكان فرعون وقومه يطلبون موسى لقتله الرجل القبطي.

(٢) «تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للقاضي البيضاوي٢ / ١٩٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٢٤٤ «حاشية الصاوي» على الجلالين (٣ / ١٧٧).

(٣) ويقل أي يحمل القلة، والقلة تسع ملء مزادة، سميت قلة لأن الرجل القوى يحملها، وكل شيء حملته فقد قللته،انظر المصباح المنير للفيومي، ص ٣٠٦.

تولى إلى الظل»[1]. وسأل موسى ربه الطعام وابتغى الأجر منه على ما قدم، وهذه دعوة دالة على أن عمل موسى الذي قدمه للمرأتين كان لوجه الله - تعالى - بدليل أنه سأل الأجر من الله فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وهذا إظهار للرغبة الصادقة في العمل مع تمام اللجوء إلى الله - تعالى - الذي بيده تدبير الأمور ومقاليدها، ولقد بذل موسى عليه السلام جهدًا كبيرًا في سقى ماشية المرأتين ليظهر رغبته في العمل الحلال الذي يكتسب به قوته ورزقه، حيث إنه هو القوى الأمين.

الخطوة الثالثة: قبول العمل المتاح:

لقد جاءت إحدى المرأتين بأدب وحياء إلى موسى عليه السلام ودعته إلى لقاء أبيها ليجزيه أجر ما سقى لهما، وقص موسى قصته للرجل الصالح فخفف عنه قائلًا: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ثم طلبت المرأة من أبيها أن يستأجره ليرعى أغنامهم فهو أهل لذلك لأنه قوى على العمل، أمين على المال والعرض، فقالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

فلابد أن ينظر المتعطل في هذين الوصفين نظرة عملية ليقوم باختيار العمل المناسب ويتأكد من قدرته عليه، وأن يتصف بالأمانة فيه أمانة سواء أمانة على أسراره أو على أمواله حسب طبيعة العمل.

الخطوة الرابعة: القبول والموافقة والممارسة:

القبول والممارسة هنا أمر مزدوج بين المجتمع – أصحاب الأعمال – وبين المتعطلين أنفسهم، فالرجل الصالح هنا يمثل المجتمع[2] وذلك أن الرجل الصالح لما علم اتصاف موسى عليه السلام بوصفين ضروريين في العامل، علم أنه أولى به، فعرض العمل لديه في رعي

---

(١) «أسرار التنزيل» القاضي البيضاوي (٢/ ١٩٠). «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ١٣/ ٢٤٤.

(٢) يمثل الرجل الصالح هنا المجتمع الصناعي أو الزراعي أو التجاري الذي تتوفر فيه الأشغال والأعمال، من ناحية أن لديه عمل مجهد شاق وجد من الناس من توفرت فيه شروط ضرورية للعمل وهما القوة والأمانة

الأغنام، وسقيه والخدمة في ذلك المجال، فقال: ﴿تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾[القصص: ٢٧]، فقبل موسى ﷺ العرض بالعمل، فعقد موسى ﷺ عقد عمل بينه وبين الرجل الصالح طويل الأجل (ثماني سنين أو عشرا)، فبورك له في العمل باستكماله بزواجه من إحدى ابنتي الرجل الصالح بعد ذلك فقال: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [القصص: ٢٨].

تعد موافقة موسى ﷺ وقبوله لهذا العمل المجهد الشاق دعوة لكل متعطل أن يرضى بالعمل المعروض عليه حتى يتيسر له غيره أفضل منه؛ ليدل على أن المتعطل المضطر لابد أن يبذل الجهد حتى يخرج من حالة البطالة، فهذا كليم الله قد بذل جهده في رعي الغنم، وأجر نفسه على قوته، ونكاحه من إحدى المرأتين يدل على ضرورة بذل المتعطل الجهد والمشقة حتى يخرج من حالة البطالة.

هذه هي المسئولية الملقاة على ولاة الأمر والعلماء والأسرة والفرد المتعطل نفسه التي تشارك في نصيب كبير في علاج البطالة، مما يجب الالتزام بها وتفعيلها لإخراج الناس من ظلمات البطالة إلى نور العمل، وتقديم كل ما ينفع المجتمع الإسلامي، فذلك مما يدعو إليه الإسلام، وتعتبر المسئولية من خصائص المنهج الإسلامي في علاج مشكلة البطالة؛ لأن العمل حق من حقوق الإنسان، وقد يمثل الضرورة الواجب إشباعها، وبذلك يتحقق علاج البطالة كلما ظهر في المجتمع متعطل لا يجد العمل من خلال هذه المنهجية الإسلامية المعصومة.

وبعد فهذه التدابير الواقية للأمة من أزمة البطالة لا أدعي أني جمعت كل تدابير الشرع، وحكمة الدين في تلك غاية عزيزة لايقدرها إلا ذو تأييد من الله بالعصمة، لكني أدعي بذل الجهد والاجتهاد في كل ما تيسر لي من التدابير الواقية من البطالة، فضلا عن البحث عن وسائل علاجها، حسب المراجع والمصادر، كما أدعي الاجتهاد في استخراج الدلالات من الأدلة النقلية والعقلية بغية وضعها بين يدي أهل الذكر في المجتمع العربي والإسلامي لينظروا بجد واجتهاد في علاج بطالة شباب الأمة، والله تعالى من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

الخاتمة

أهم النتائج:

١ - البطالة إحدى المشكلات التي يعانيها العالم اليوم، وهى عدم توافر فرص العمل للأفراد القادرين على العمل، والراغبين فيه، والباحثين عنه، فجمعت هذه القيود الوصف الذي به يستحق الفرد المتعطل عون مجتمعه، وكفالته لتحقيق كفايته، وأصبح البحث عن وسائل علاج البطالة أمرًا ضروريًا.

٢ - اتصال مشكلة البطالة بالراهن الحضاري، أو ما يسمى بـ"العولمة"، وما لها من دخل قوى في استفحال المشكلة على الصعيدين العالمي والإقليمي، وذلك بشهادة متخصصي الاقتصاد في العالم، واعتراف بعض المحللين الاقتصاديين بضرورة البحث عن نظام جديد، لا هو رأسمالي ولا هو اشتراكي؛ يضمن تحقيق العدل والمساواة بين الأفراد، ولا شك في أن الإسلام هو دين العدل والمساواة.

٣- أسباب البطالة متعددة، ولكنها لم تكن لتعود في يوم من الأيام لقلة أو انعدام الموارد الطبيعية التي خلقها الله ـ تعالى ـ للإنسان؛ فالله قد استخلف الكائن البشرى في الأرض ليعمرها، ومن عدله ـ سبحانه ـ أن هيأ له سبل المعيشة في الحياة قبل وجوده فيها.

٤ - ترجع أسباب البطالة إلى أسباب اقتصادية وأخلاقية، وهى ترجع في جملتها إلى العنصر البشرى من حيث سوء التخطيط، وسوء استخدام الموارد الطبيعية، أو قعوده عن العمل تكاسلًا وغير ذلك من الأسباب.

٥ - للبطالة أنواع ثلاث، قد تم تقسيمها بناءً على توصيف أهل الاختصاص، وهى:

- البطالة الاضطرارية وهي أخطرها وأشدها تأثيرًا على الفرد والمجتمع والاقتصاد وهى التي تتبادر إلى الذهن إذا أطلقت كلمة «البطالة»بدون تقييد بالوصف.

- البطالة المستترة وهى أن يعمل الشخص عملًا ظاهريًا، ولكن لا ينتج شيئًا حقيقيًا في واقع الأمر، وعلاج هذه البطالة المستترة يتحقق بتفعيل الدور الرقابي في الدولة الإسلامية من خلال ولاية الحسبة، كما يتحقق بالتزام العامل بواجباته وأخلاق مهنته.

- البطالة الاختيارية وهى أن يختار الشخص البطالة حالا له بدلا من العمل والاكتساب وهذه مشكلة اجتماعية وأخلاقية خطيرة، ومثل هذا الشخص يجبر على العمل الذي يوجبه واقع مجتمعه، سواءً أكان في زراعة أو صناعة أو تجارة.

٦- تعددت آثار البطالة السلبية على كل من الفرد والمجتمع والاقتصاد.

٧- موقف الإسلام الحنيف من البطالة يظهر من خلال تقرير حقائق أكد عليها القرآن الكريم من الاستخلاف البشرى، وضرورة العمل لحياة الإنسان، ومن خلال محو السلبيات فهدد المعوقين والقاعدين عن العمل، وضرب المثل للمتعطل تنفيرًا من البطالة وتحفيزًا على العمل، فتقرير الحقائق اللازمة، ومحو السلبيات المثبطة من وسائل مواجهة القرآن للبطالة.

٨- تعددت الوسائل النبوية في علاج البطالة، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوة في السعي قبل البعثة وبعدها، وأعان الكلّ والمعدوم، وسما بأخلاق أصحابه، وسما بأهدافهم؛ فكان له من الوسائل التربوية التي أخرجت الناس من إصر البطالة إلى كرامة الكسب، كما قام الرسول بمسؤولية تشغيل المتعطل، فتوسع في الأعمال وحببها لأصحابه، وحثهم عليها، ووضع التشريعات اللازمة للتشغيل في مجالات العمل الأصلية.

٩- إن الخلافة الراشدة بعد رسول الله ﷺ سارت على منهجه في علاج البطالة، واتخذت موقفا حازما منها، فلم تعطل أصحاب الأعمال عن أعمالهم في البلاد التي فتحها الإسلام، بل هيأت لهم المكاسب والأعمال، وقد اتخذ كل خليفة راشد من الخلفاء الأربعة من السياسات المالية والاقتصادية الراشدة التي تعد وسائل علاج للبطالة، خاصة ما كان في عهد الفاروق عمر من وسائل لتهيئة الفرد المتعطل للكسب والعمل.

١٠- إن الدراسة قد تبين من خلالها أن أول عالم ناقش مشكلة البطالة هو العالم المسلم «محمد بن الحسن الشيباني» فقد عالجها بأسلوب عبقري يدعو إلى وقفة تأمل في

العبقرية الإسلاميـــة، وأن العلمـــاء المسلمين جـــاءوا من بعـــده فنسجوا على منواله، فمنهم من أزال شبهة ومنهم من توسع في الأعمال ومنهـــم من حافظ على مورد، ومنهم من تدرج في مصالح العباد التي تؤسس عليها الأعمال، وهذه الجهود كلها قد اقتدى فيها العلمـــاء برسول الله ﷺ والذي حث على العـمل مما يجب أن يذاع وينشـر، كوسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية وكفاءتها في حل المشكلات، وأيضا كمثال على كمال الدين الإسلامي، ووفائه بحاجة الإنسانية مدى الدهر.

١١- يمتاز علاج الإسلام للبطالة بالشمولية التامة لجميع جوانب الإنسان، فالإنسان يحـيا بعقيدته الإيمانية التي تنتظم عليها علاقته بربه خالقه، ويحيا بشريعته الدينية التي تنتظم بها علاقته بالناس من حوله، من أهل وولد وجيران، ويحيا بأخلاقه التي تنتظم بها علاقته بإخوانه ؛ فاشتملت معالجة البطالة في الإسلام هذه الجوانب كلها فالعقيدة لترسيخ معاني الرضا بقضاء الله وقدره، والشريعة لتنظيم مجالات الكسب ما يحل منها وما يحرم، وما يجب وما يجوز، وأما الأخلاق، فقد أكدت ورسخت ما يبنى الكيان النفسي للكائن البشرى، وما يؤسس شخصيته؛ وهذا من خصائص الإسلام التي تشمل الإنسان جسمًا وروحًا وقلبًا متعقلًا في إطار من التيسير ورفع الحرج.

١٢- لا مصادمة في الإسلام بين العبادة والاكتساب ـ كما هو موجود في معظـم الأديان التي تنتشر في شرق الأرض وغربها ـ فالعبادات في دين الإسلام لها من الأثر الإيجابي العظيم في تربية الفرد المسلم على بذل الجهد والكسب والعمل.وازن الإسلام بين وقت العمل والعبادة.

١٣- أن الإسلام يقدم الحلول العملية لعلاج البطالة من خلال تفعيل دور الزكـاة والوقـف وغيرهما من الأحكام الإسلامية؛ فهذه نماذج عملية في توفير فرص العمل للمتعطلين، فالصّديق فعَّل دور الزكاة، والفاروق فعَّل دور الوقف وهيَّأ للمتعطلين فرص العمل.

١٤- وأن الإسلام دين الله ـ تعالى ـ الذي هيأ له من الكفاءة اللازمة في وضع الحلول الحاسمة لأصل المشكلة، من خلال منهجه الموضوعي والواقعي، في تشخيص الداء لوضع أنسب دواء.

١٥- مسؤولية علاج البطالة تقوم في الإسلام على كل إنسان بموجب التكافل الاجتماعي، كل على قدر مسؤوليته، وهى تتوزع على ولاة الأمر، والعلمـــاء والمفكرين، والمصلحين،والوالدين في الأسرة المسلمة، وعلى الفرد المتعطل نفسه.

التوصيات

-أن تنشئ كل دولة من الدول التي تعانى من البطالة جهازًا يكلف بحصر مجـــالات العمل التي تناسب كل مجتمع وفق بيئته الطبيعية، مع العمل على التوســـع في الأعمال بين الضروريات و الحاجيات و التكميلات.

- أن تخصص الكليات التي تعنى بالدراسات الاقتصادية والاجتماعية هذه المشكلة مزيد من الدراسة لها، مع وضع الحلول التي تناسب شريعة الإسلام.

- أن تقوم جامعة الأزهر الشريف بتبليغ الأمة الإسلامية جمعاء موقف الإسلام من البطالة،ودوره في علاجها، وأن تعمل وسائل الإعلام المرئيـة والمسموعة والمقروءة على توصيل ذلك إلى العالم بأسره؛ حتى تقدم لكل من يحيا على أرض الله دليلًا من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺوهو يخبر عن نقصان العمل، ويقوم بتعليم أمته سبل الخروج من أزمة البطالة.

- أن تجتمع أهداف وغايات أهل الحل والعقد في كل مجتمع حول العمل على الخروج من أزمة البطالة، وذلك باعتبارها أمرًا جامعًا يتحقق بصلاحه صلاح المجتمع كله.

❋❋❋❋